

العنوان: روسيا والعودة إلى افريقيا : المحددات والأبعاد
المصدر: مجلة البحثية للعلوم الإنسانية والإجتماعية
المؤلف الرئيسي: صميض، هشام
المجلد/العدد: ع7,8
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2017
الناشر: مؤسسة خالد الحسن - مركز الدراسات والأبحاث
الشهر: ربيع
الصفحات: 300 - 309
رقم MD: 913147
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: IslamicInfo, EduSearch
مواضيع: العلاقات الدولية، السياسة الخارجية، روسيا، الدول الافريقية
رابط: https://search.mandumah.com/Record/913147

روسيا والعودة إلى أفريقيا: المحددات و الأبعاد

هشام صميض*
safire05@gmail.com

تقديم: كانت القارة الأفريقية على مر تاريخها ضحية موقعها الاستراتيجي الذي جعل منها منطقة تجاذب الدول الكبرى، ولم تخرج القارة في فترة الحرب الباردة عن هذا السياق حيث عرفت صراعا حقيقيا بين القوتين العظميين في تلك الفترة، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، اللتين حاولتا تصريف صراعهما الأيديولوجي في القارة بمحاولة التحكم فيها وذلك للبعد الجيوستراتيجي الذي تحظى به. فقد انقسمت دول القارة إلى معسكرين أيديولوجيين؛ الأول تابع للمعسكر الليبرالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والثاني تابع للمعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي.

غير أنه مع انهيار الاتحاد السوفياتي في العقد الأخير من القرن 20، ستنسحب روسيا من القارة الأفريقية خلال فترة الرئيس يلتسن، وهي الفترة التي انكفأت فيها روسيا على نفسها من أجل إعادة بناء واقعها الداخلي لتجاوز تداعيات تلك المرحلة والحيلولة دون انهيار مؤسسات الدولة.

وبعد تجاوز روسيا لتداعيات انهيار معسكرها، والتمكن من إعادة البناء الداخلي لمؤسسات الدولة، ستسعى جاهدة للعودة إلى القارة الأفريقية خاصة مع وصول الرئيس بوتين إلى الحكم في بدايات العقد الأول من القرن 21، غير أن بصمات العودة هذه المرة لن تكون بنفس الحضور السابق في المنطقة. فاستراتيجية وسياسة روسيا الخارجية في تعاملها مع القارة الأفريقية ستتغير والعلاقات الروسية الأفريقية ستؤطرها محددات أخرى غير المحدد الإيديولوجي الذي لم يعد حاضرا وحاكما لها.

فما هي مكانة أفريقيا في المنظور الاستراتيجي الروسي؟ وما هي المحددات الاستراتيجية التي دفعت بروسيا للعودة نحو أفريقيا؟ تستدعي مقاربة هذا السؤال الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية: ما طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين أفريقيا وروسيا في فترة الحرب الباردة؟ ما هي الأسباب التي دفعت بروسيا إلى الانسحاب من أفريقيا؟ هل تواجد أفريقيا في صلب أولويات السياسة الخارجية الروسية هي الدافع وراء عودة روسيا بثقلها إلى المنطقة؟.

وتنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها: أن انسحاب روسيا من القارة أفريقية في فترة ما بعد الحرب الباردة فرضه تفكك الاتحاد السوفياتي وانكفائها نتيجة لذلك على إعادة بناء بيتها الداخلي لمواجهة تداعيات بروز أحادية قطبية، غير أن هذا الانسحاب لم يغيب أفريقيا من المنظور الاستراتيجي الروسي تبعا لمبدأ التنافس والتجاذب بين الدول حول المنطقة، الأمر الذي يفسر عودتها ومحاولة الحفاظ على علاقاتها مع الدول الأفريقية على أساس التبعية خصوصا في الجانبين الاقتصادي والعسكري،

وسيكون تحليلنا للموضوع تحت عنوانين: الأول حول روسيا في أفريقيا بين الحضور والانسحاب؛ والثاني تتناول العودة المتجددة لروسيا في أفريقيا.

* طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية سلا، جامعة محمد الخامس الرباط.



1. روسيا في أفريقيا بين الحضور والانسحاب

1.1. الحضور التاريخي لروسيا في أفريقيا

إن الحضور الروسي بإفريقيا ليس وليد التاريخ المعاصر؛ بل له امتدادات تاريخية أُصِّلَتْ في القرون الوسطى بوجود علاقات دينية كانت تجمع الحجاج الروس الأرثوذكسيين والمسيحيين الأفارقة من جهة، والمسلمين الروس ونظرائهم الأفارقة من جهة ثانية، حيث كانت نقاط ملاقاتهم هي الأراضي المقدسة لكلا الطرفين. وقد ترسخت هذه العلاقة أكثر فيما بعد حين سيحط مجموعة من البحارة والمستكشفين الروس في مجموعة من البلدان الأفريقية منها الكونغو الديموقراطية، مصر، والمغرب[1]. سيتعزز هذا الحضور بافتتاح روسيا القيصرية قنصليتين في مصر نهاية القرن 18، الأولى في القاهرة والثانية في الإسكندرية. وفي سنة 1898م ستتمكن من إقامة علاقات دبلوماسية مع كل من إثيوبيا وجمهورية الترنسفال (جنوب أفريقيا حاليا)، كما ستقوم بتثبيت قنصلية عامة في المغرب بمدينة طنجة.

ستتواصل الاتصالات بين روسيا وأفريقيا جنوب الصحراء بعد الثورة البلشفية سنة 1917، على نطاق ضيق في البداية، وبشكل رئيسي من خلال الأممية الاشتراكية، حيث سينتقل مجموعة من الأفارقة إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية من أجل التثقيف والتكوين السياسي. وكان من نتائج هذه الاتصالات المتبادلة بين الطرفين انتعاش العلاقات الرسمية بين روسيا وإثيوبيا وجنوب أفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية، حيث أصبح هذان البَلَدان حليفين استراتيجيين للاتحاد السوفياتي، وستصير روسيا منذ سنة 1950 أكبر داعم للدول الأفريقية المستقلة حديثا ولحركات التحرر الأفريقي المناهضة للاستعمار، إذ ستعمل موسكو على تقديم الدعم للمؤتمر الوطني الأفريقي(ANC)، والحزب الشعبي لجنوب أفريقيا(SACP)، والحركة الشعبية لتحرير أنغولا (MPLA)، وجبهة تحرير الموزمبيق (FRELIMO)، واتحاد الشعب الأفريقي الزيمبابوي[2].

كما أن هذا الدعم سيصل أروقة الأمم المتحدة التي ستعتمد سنة 1960، وبمبادرة من الاتحاد السوفياتي، إعلانها التاريخي المتعلق بمنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة[3]، بالرغم من اعتراض الدول الغربية الكبرى، إذ صوت لصالح هذا الإعلان 89 دولة مقابل 9 دول اعترضت عليه، مع امتناع 9 دول وهي: استراليا، بلجيكا، إسبانيا، أمريكا، فرنسا، البرتغال، جمهورية الدومينيك، بريطانيا واتحاد جنوب أفريقيا. فباستثناء استراليا وجمهورية الدومينيك ما تبقى من هذه الدول كانت قوى استعمارية خلال سنوات الستينات، وهذا ما يفسر موقفها وسلوكها من الإعلان.

وفي فترة الحرب الباردة ستتجه روسيا إلى مزيد الاهتمام بدول العالم الثالث بما فيها الدول الأفريقية لمواجهة تزايد التأثير الأمريكي في النظام الدولي، هذا التأثير الذي سيصير المحرك الأساسي للسياسة الخارجية السوفياتية تجاه تلك الدول. وبهذا التوجه الجديد ستتحرر موسكو من السياسة الستالينية المتمركزة حول أوروبا، حيث سيعيد السوفياتيون توجيه سياستهم نحو وجهة غير أوروبا، عاملين على تطوير تأثيراتهم وقدراتهم التدخلية في القارة الأفريقية، خاصة على مستوى دول جنوب الصحراء الكبرى، وإن بشكل محدود خلال سنوات الستينات، ثم بشكل

---

1 Alexandra Arkhangelskaya, «le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne ? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique » Afrique Contemporaine, N°248, 2013, p62.

2 Alexandra Arkhangelskaya, « le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne ? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique » Afrique Contemporaine, N°248, 2013, p62.

3 www.un.org/ar/event.



واسع خلال سنوات السبعينات التي ستشهد تطورات مهمة في العلاقات الروسية الأفريقية خاصة على مستوى دولة أنغولا والموزمبيق وإثيوبيا[1].

أما على مستوى دول شمال أفريقيا، سينشئ الاتحاد السوفياتي علاقات اقتصادية مستمرة مع معظمها خاصة مصر والجزائر، كما سيدعم عسكريا نظام العقيد معمر القذافي في ليبيا. ومقابل ذلك، سيحصل الروس على ولوجية سهلة للقواعد البحرية والجوية لتلك الدول، تمكن الاتحاد السوفياتي من الاستعانة بها في حالات التوتر مع الغرب[2].

وقد شملت العلاقات الروسية الأفريقية مجموعة من المجالات وليس فقط المجالين العسكري والسياسي، ففي منتصف الثمانينات سيوقع الاتحاد السوفياتي اتفاقات متعددة مع مجموعة من الدول الأفريقية، شملت أكثر من 37 اتفاقية للمساعدة التقنية وحوالي 42 اتفاقية تجارية. كما سيتم تكوين حوالي 2500 أفريقي في الجامعات والمدارس التقنية السوفياتية، وستخرج أكاديميات عسكرية وسياسية روسية الآلاف من الأفارقة [3]، الذين سيشكل البعض منهم فيما بعد نخبا حاكمة في بلدانها الأصلية، أمثال: Mbeki Thabo في جنوب أفريقيا، وJose Dos Antos في أنغولا، وAhmadou toumani في مالي[4]، وهو ما سيعزز من التقارب بين تلك البلدان وروسيا أثناء فترات حكمهم.

لقد شكل مبدأ التنافس والتجاذب الاستراتيجي بين القوى الكبرى حول مجموعة من المناطق الإقليمية، بما فيها أفريقيا، المحدد الأساس في علاقة روسيا بأفريقيا. فموسكو لم تعتبر الدول الأفريقية المتعاونة معها كحلفاء ثانويين، بقدر ما كانوا يشكلون بالنسبة لها جبهات للتصدي والمواجهة العالمية ضد الرأسمالية المتوحشة[5].

2.1. الانسحاب الروسي من أفريقيا

خلال العقد ما قبل الأخير من القرن العشرين، عرف الاقتصاد السوفياتي مأزقا متفاقما، إذ تدهورت قدرته على المستوى العالمي، بسبب الحصار التكنولوجي واستخدام سلاح الغذاء وتصعيد سباق التسلح من جانب الدول الغربية. هذا بالإضافة إلى تخصيص الاتحاد السوفياتي لموارده العلمية والتكنولوجية والمالية والبشرية وغيرها للأغراض العسكرية على حساب حاجات الاقتصاد. وهو الأمر الذي كان له انعكاسات على بيته الداخلي، فكان من مخرجاته انهيار الاتحاد وتفككه.

غير أن تفكك الاتحاد السوفياتي لم يؤدي إلا إلى انسلاخ ربع مساحته أما الثلاثة أرباع الباقية فلازالت بيد روسيا، حيث ورثت معظم ما كان يملكه الاتحاد السوفياتي من إمكانيات مادية وبشرية، ولكنها ورثت في الوقت نفسه

---

1 M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, « La politique russe en Afrique :désengagement ou coopération ?, Revue d'études comparatives Est-Ouest, Volume 27, 1996, N°3, p146.

2 M. Birgerson Susanne et autres, Ibid p146.

3 Alexandra Arkhangelskaya, « le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne ? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique» Afrique Contemporaine, N°248, 2013, pp62- 63.

4 Guy Pandji: "Russia's Return to Africa - The Scholarship Dimension", NORRAGNEWS, SPECIAL ISSUE: «THE GEOPOLITICS OF OVERSEAS SCHOLARSHIPS & AWARDS OLD AND NEW PROVIDERS, EAST & WEST, NORTH & SOUTH», NUMBER 45 April 2011, p86.

5 Alexandra Arkhangelskaya, « le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne ? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique » Afrique Contemporaine, N°248, 2013, p63.

مشاكل الاتحاد السوفياتي الأخرى[1]. وأمام ثقل تداعيات انهيار الاتحاد وارتداداته على داخل روسيا وعلى علاقاتها مع العالم الخارجي، سعت روسيا الاتحادية إلى تبني سياسة خارجية مختلفة أفرزتها معطيات واقعية اختلفت من مرحلة إلى أخرى، بحيث حاولت روسيا في عهد الرئيس بوريس يلتسين نهج سياسة تهادن الغرب، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، وتحاول الاقتراب منه أكثر من أجل الخروج من الأزمات التي تعصف بها[2].

لقد كان للوجود الروسي في أفريقيا ثمنه، وهذا ما يستشف من تصريح ألكسندر مكارينكو مدير مديرية أفريقيا في وزارة الخارجية الروسية، حينما اعتبر أن مسار التبادلات بين روسيا وأفريقيا كانت قائمة بالأساس على المساعدات والديون، بحيث أن الجانب التجاري لم يشكل إلا نسبة ضئيلة جدا في هذا المسار[3]. وقد شكلت تلك الديون والمساعدات ثقلا على الاقتصاد الوطني الروسي، إذ اعتبر مجموعة من الخبراء أن الصعوبات والمشاكل الاقتصادية الداخلية لروسيا ما هي إلا نتاج لالتزامات وروابط الدولة الروسية المكلفة تجاه دول العالم الثالث بما فيها الدول الأفريقية.

لهذا سيعمل يلتسين على محاولة الانسحاب من أفريقيا، فبعد شهرين من زيارة وزير الخارجية لأفريقيا في فبراير سنة 1992 ستغلق موسكو سفاراتها في تسع دول أفريقيا من بينها بوركينافاسو، غينيا الاستوائية، ليبيريا، الطوغو، الصومال. ثم بعد ذلك ستغلق كذلك قنصليات في كل من الموزمبيق، أنغولا، مدغشقر، والكونغو[4]. وفي الجانب التجاري أوقفت روسيا مجموعة من البعثات التجارية، وكذلك نشاط 13مركزا ثقافيا روسيا من أصل 20 مركزا. وبذلك، أعلنت روسيا ضمنيا عدم استطاعتها مواصلة دعمها للأنظمة الحليفة لها في أفريقيا؛ بل أكثر من ذلك سيوقف الرئيس يلتسين كل أشكال الدعم والمعونات على الدول الأفريقية[5]، مطالبا إياها بدفع ما بذمتها من ديون تجاه روسيا[6].

وإلى جانب توقيف التعاون الدبلوماسي والسياسي والعسكري، عرف الجانب الاقتصادي نفس التوجه ففي سنة1992 لم يتجاوز مبلغ المبادلات التجارية بين روسيا وأفريقيا رقم المليار دولار، وسيعرف هذا الرقم بدوره في سنة 1994 انخفاضا ملحوظا بحيث لن يتجاوز 740 مليون دولار[7]. كما أن نظام هذه المبادلات التجارية عرف حسب الوزير

---

1 عبد العزيز مهدي الرواي: "توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، **مجلة دراسات دولية** (بغداد: مركز الدراسات الدولية، العدد 35، سنة 2008) ص160.

2 عز الدين عبد الله أبو سمهدانة: **الإستراتيجية الروسية تجاه الشرق الأوسط: 2000- 2008،(دراسة الحالة الفلسطينية)** (رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم م الإدارية، جامعة الأزهر غزة، السنة الجامعية 2012/2011م) ص11.

3 Gilles Traude, « La Russie en Afrique : le grand retour? » Géostratégiques, n° 25 novembre 2009, p166.

4 M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, « La politique russe en Afrique: désengagement ou coopération? » Revue d'études comparatives Est-Ouest, Volume 27, 1996, N°3, p154.

5 Sebastian Santander: L'Afrique, nouveau terrain de jeu des émergents (Editions Karthala, 2014) p121.

6 Alexandra Arkhangelskaya, «le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique» Afrique Contemporaine, N°248, 2013, p63.

7 Sebastian Santander,Op.cit , p121.



الأول الروسي فيكتور تشيرنوميدين نوعا من عدم التوازن، مؤكدا في ذلك على "أن 83% من حجم هذه المبادلات هي موجهة فقط لدول شمال أفريقيا"[1].

2. العودة الروسية لأفريقيا

1.2. إرهاصات العودة

لقد كان لانهيار الاتحاد السوفياتي سنة 1991انعكاسات فرضت على السياسة الخارجية الروسية الانعزال، غير أن انكفاء روسيا على سياسة البناء الداخلي لم يلغي فكرة الرجوع إلى القارة الأفريقية خاصة دول الجنوب منها، وقد بدا ذلك واضحا سنة 1994 حين ستعيد روسيا توجيه سياستها الخارجية تجاه أفريقيا حتى تتجاوز الخسائر التي منيت بها نتيجة هذا الانسحاب[2]. ففي هذه الفترة سارعت إلى صياغة خطة تجسد هذا التوجه الجديد للروس، وشرع العمل في ذلك باجتماع سفراء روسيا في الدول الأفريقية مع الوزير الأول الروسي فيكتور تشيرنوميردين في موسكو صيف 1994؛ وهو الاجتماع الذي أكد فيه هذا الأخير أن قطع العلاقات مع القارة الأفريقية والانسحاب منها كانت له تأثيرات سلبية على مصالح روسيا العليا، لاسيما في مجال مبيعات الأسلحة، وأكد فيه كذلك على أن الفراغ الذي تركته روسيا في هذا المجال مكن من ظهور أطراف أخرى منافسة لها. وفي نفس الاجتماع عبر وزير الخارجية أندري كوزريف عن حذره بالتركيز على ضرورة الربط عضويا بين توسيع مجال بيع السلاح الروسي وتحقيق الأمن والاستقرار في أفريقيا[3].

وعلى الرغم من أن التعاون العسكري بين روسيا وأفريقيا عرف تدهورا كبيرا في العقد الأخير من القرن الماضي، وهنا يجب استحضار أن الاتحاد السوفياتي كان هو الممون الرئيس للأسلحة للبلدان الأفريقية في بدايات سنوات الثمانينات، إلا أن مجموعة من العوامل ستدفع بعودة هذا التعاون، ولعل من أهمها أن ما بين 60% و90% من السلاح المستعمل أو المتداول في القارة الأفريقية هو صناعة روسية. لكن إرهاصات هذا التوجه ستواجهها مجموعة من العراقيل أهمها ضعف قدرة الدول الأفريقية على السداد، بالإضافة إلى المنافسة المتزايدة من طرف تجار السلاح سواء المنتمين إلى الدول الغربية أو المنتمين إلى الدول التي كانت تسبح في فلك الاتحاد السوفياتي المفكك[4].

ومع هذا التعثر الحاصل في قدرة الأفارقة على سداد فاتورة استيراد السلاح، ستتجه روسيا إلى تقوية تعاونها بالدول المنتجة للنفط كنيجيريا والدول المنتجة للسلع المطلوبة كزيمبابوي، وإن كانت دولة جنوب أفريقيا، في نظر الروس، تبقى هي الشريك الاقتصادي الرئيس لها في المنطقة، وذلك لما لهذا البلد من إمكانات اقتصادية وتجارية مهمة. ومن هنا نفهم الخطوة التي أقدم عليها الرئيس يلتسين سنة 1994 عندما ألغى، بموجب مرسوم رئاسي، جميع القيود المفروضة على المعاملات مع هذا البلد، والتي فُرِضَتْ عليها في سبعينيات القرن الماضي بقرار من مجلس الأمن.

وإذا كان التوجه الجديد لروسيا داخل القارة الأفريقية خلال فترة التسعينات نحا سبيل التواجد وعدم نهج سياسة الكرسي الفارغ، فإن الحضور الروسي اقتصر على الجانب الاقتصادي ونأى بنفسه من التورط سياسيا أو عسكريا في

---

1 M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine,« La politique russe en Afrique: désengagement ou coopération ? », Revue d'études comparatives Est-Ouest, Volume 27, 1996, N°3, p155.

2 M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, Ibid, P155.

3 M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, Ibid, P156.

4 M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, Ibid, P156.



أي صراع داخل القارة. فروسيا حسب يلتسين "باعتبارها عضوا دائما في مجلس الأمن وعضوا نشيطا في المنظومة الدولية، ستدعم كل التحولات الديمقراطية في أفريقيا وستعمل على جعل هذه المنطقة أكثر أمنا واستقرارا"[1].

وبذلك ستقتصر جهود روسيا في أفريقيا للحد من الصراعات والنزاعات المسلحة في تلك الفترة على إجراءات رمزية كتشكيل مثلا وحدة متنقلة صغيرة في تنزانيا لمساعدة اللاجئين الرواندين. وكان الروس يعتبرون أن حل تلك النزاعات على المستوى الواقعي هو شأن خاص بالأفريقيين حصراً، وهذا ما كان يعبر عنه دائما المندوب الروسي في الأمم المتحدة في تلك الفترة بولي فورونتسكف.

ويبقى الاستثناء الوحيد لهذا الموقف الانعزالي أو الحيادي لروسيا، هو محاولتها إنهاء الصراع الطويل حول السلطة بين الحكومة الأنغولية ومعارضيها في حركة "يونيتا"، حيث كان للروس تأثيرا حاسما في التوقيع على بروتوكول اتفاق وقف كل الأعمال العدائية والعنف في أنغولا والمصالحة الوطنية في مدينة "لوساكا" في نونبر 1994، كما صادق برلمان روسيا على طلب الرئيس يلتسين بإرسال 160 جندي روسي و7 مروحيات من نوع MI-8 إلى بعثة الأمم المتحدة في أنغولا[2].

2.2. العودة الحقيقية لروسيا في أفريقيا

عرفت العلاقات الروسية مع عالمها الخارجي تحولا جديدا ابتداء من سنة 2000، وهي السنة التي تولى فيها بوتين قيادة روسيا بعدما كان يشغل منصب الرئيس بالوكالة بعد استقالة يلتسين من المنصب الرئاسي. وبوصول بوتين لسلطة الحكم في روسيا اتسمت سياستها الخارجية بالنظرة الواقعية للعلاقات الدولية المرتبطة أساسا بطبيعة الحراك السياسي الدولي وبمصالح روسيا السيادية.

فلقد شكلت روسيا في تلك اللحظة، حالة سياسية مهمة لفتت انتباه السياسيين والمراقبين في العالم على السواء، وقد أعطيت لهذه الحالة عناوين عدة لعل أبرزها "استيقاظ الدب الروسي"، كدلالة على عودة روسيا إلى مصاف القوى الكبرى المُؤَثِرَة في صناعة القرار الدولي، إذ انتقلت روسيا في عهد الرئيس بوتين منذ منتصف العام 2000 إلى سنوات القبضة الحديدية[3]، فقد عمل الرئيس بوتين على استعادة المكانة الدولية لروسيا والحفاظ على أمنها القومي، معلنا في بداية ولايته عما عرف بـ"مبدأ بوتين" الذي يتضمن الدعوة إلى عالم متعدد الأقطاب، لا يخضع لقوة عظمى واحدة ويكون لروسيا دورا أساسيا فيه[4].

ولم تخرج أفريقيا عن نطاق هذا التوجه، ضمن سياسات روسيا الخارجية، بحيث سيعمل بوتين على جعل روسيا حاضرة في كل منطقة من مناطق العالم. وستكون سنة 2001 بداية التفاعلات في هذا المنحى، حيث سيستقبل الرئيس بوتين في هذه السنة بموسكو رؤساء دول كل من: الجزائر، مصر، نيجيريا، غينيا، والغابون. وفي نفس السنة أيضا سيتحرك وزير خارجيته صوب "أفريقيا السوداء" زائرا كل من: أنغولا، ناميبيا، اتحاد جنوب أفريقيا، وتنزانيا. وفي

1 M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, Ibid, P159.

2 M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, Ibid, p159.

3 أيمن طلال يوسف، "روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية 2000- 2008"، **مجلة المستقبل العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 358، دجنبر 2008) ص77.

4 الدكتور ناصر زيدان: **دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين** (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2014) ص202.



سنة 2002 سيعود وزير الخارجية الروسي إلى أفريقيا الشمالية زائرا كل من: المغرب وتونس[1]. ولا يخفى ما لهذه الزيارات من تأثير على تطوير العلاقات الأفريقية الروسية باعتبارها مؤشرا مهما في رصد وتتبع مدى تطور هذه العلاقات.

لكن نقطة الانعطاف والتحول في هذه العلاقة ستكون سنة 2006 مع الزيارات التاريخية التي قام بها بوتين إلى كل من جنوب أفريقيا والمغرب، والتي جاءت في إطار الدبلوماسية الجديدة "المتعددة الأقطاب" التي تبناها الكرملين. وقد عبر عنها عالم السياسة ايفكيني فولك EVGUENI VOLK من مؤسسة héritage بأن "روسيا تحاول إعادة طبع الصورة النمطية التي بصمتها سابقا على المستوى الدولي، كقوة تقليدية حاضرة في البناء الدولي، عبر تطوير علاقاتها مع كل العالم، خاصة أمريكا اللاتينية وشرق جنوب أسيا، وكذلك أفريقيا"[2].

ومع وصول الرئيس ميدفيديف Medvedev إلى السلطة سيجاري خلفه بوتين في إستعادة مكانة روسيا في أفريقيا، ناهجا بذلك نفس توجهه في السياسة الخارجية تجاه القارة الأفريقية. وتجلى ذلك واضحا في الزيارة التاريخية التي قام بها ميدفيديف سنة 2009 إلى كل من: مصر، نيجيريا، ناميبيا، وأنغولا؛ صاحبا معه حوالي 400 من رجال أعمال غالبيتهم من مسيري كبار الشركات الروسية أمثال: GAZPROM, LUKOIL, ROSATOM[3]. وكان من ثمار هذه الزيارات التوقيع على مجموعة من الاتفاقات التجارية المهمة.

وعليه يبدو جليا عزم روسيا القوي على لعب دور محوري في القارة الأفريقية من خلال تثمين علاقاتها مع البلدان الأفريقية. وجعلت من مسألة الديون الأفريقية تجاهها مدخلا مهما لهذا المنحى، بحيث أن سياسة إلغاء الديون التي نهجها كل من بوتين وميدفيديف كانت مقابل خيارين؛ إما أن تستبدل هذه الديون بتوقيع اتفاقيات جديدة في المجال العسكري أو الصيد البحري، وإما أن تستخلص هذه الديون عن طريق تحويل أسهم بعض الشركات الوطنية الأفريقية نحو الشركات الروسية، أو بمنح الدول المَدِينَة تراخيص استغلال معادن من الدرجة الأولى لصالح الشركات الروسية[4].

بذلك ستعمل الشركات الروسية الكبرى، في الجانب الاقتصادي، على الحضور بقوة في مجال استخراج المعادن واستغلالها. وستوقع شركة ROSNEFT الروسية مع شركة النفط الوطنية في موزمبيق مذكرة تفاهم حول التنقيب واستغلال حقول النفط والغاز، وهذا أول استثمار لهذه الشركة العملاقة في هذه المنطقة، بحيث أن اهتماماتها كانت محصورة فقط في المشاريع النفطية بالجزائر. أما في أنغولا فنجد شركة GAZPROM في المجال النفطي وشركة ROSATOM في مجال اليورانيوم، بينما في مجال الماس نجد شركة ALROSA التي أنشأت مشروعا مشتركا مع شركة ENDIAMA. وفي ناميبيا تنشط شركة RENOVA في قطاع اليورانيوم وهي كذلك حاضرة في دولة جنوب أفريقيا، العضو في مجموعة البريكس، باستثمارات مهمة قاربت 350 مليون دولار في استغلال المنغنيز و250 مليون دولار في تجديد مصنع السبائك الحديدية[5]. وفي غرب أفريقيا، ستركز الشركات الروسية مثل شركة RUSAL صاحبة المشروع

---

1 Gilles Traude, « La Russie en Afrique : le grand retour?» Géostratégiques, n° 25 novembre 2009, p167.

2 Gilles Traude, Ibid, p167.

3 Muriel Pomponne, « vers un retour de la Russie en Afrique», Web : www.rfi.fr , le 05 -12 - 2014.

4 Sebastian Santander, Op.cit, p126.

5 Muriel Pomponne , Op.cit.



الاستثماري الضخم "Dian-Dian" اهتمامها وتواجدها في غينيا بثرواتها المعدنية وباعتبارها أكبر منتج للألمنيوم في العالم، وفي نيجيريا في قطاع استغلال الذهب.

وفي هذا الصدد، لا يمكن إغفال دور مجموعة البريكس BRICS (الهند، البرازيل، الصين، جنوب أفريقيا وروسيا) في مساعدة هذه الشركات على الحصول على امتيازات متبادلة في أفريقيا، مما ينعكس إيجابا على العلاقات الروسية الأفريقية. فقد اعتبر مجموعة من الباحثين والمحللين أن القمة الخامسة لهذه المجموعة التي نظمت في جنوب أفريقيا مارس 2013 أعطت زخما جديدا لهذه العلاقات[1].

هذا في الجانب الاقتصادي، أما في الجانب العسكري فروسيا بدأت في استعادة مكانتها في أفريقيا كتاجر للأسلحة، مستفيدة من رغبة الدول الأفريقية في تحديث ترسانتها العسكرية التي اقْتَنَتْهَا خلال فترة الاتحاد السوفياتي. وبهذا أضحت الوكالة الروسية العامة المكلفة بتصدير الأسلحة "Rosobonexport" تتعاون مع 15 بلدا أفريقيا في جنوب الصحراء الكبرى. لكن هذا التعاون مع أفريقيا "السوداء" لا يمثل سوى 2% من جميع الصادرات العسكرية الروسية في العالم، مع أن هذه المنطقة تحتل المرتبة التاسعة عالميا من حيث الإنفاق العسكري. وتبقى دول أفريقيا الشمالية من الزبائن المهمة لروسيا في مجال التسليح، خاصة الجزائر ومصر، فهذه الأخيرة مثلا وقعت مؤخرا مع روسيا اتفاقا عام 2013 ينص على تحديث نظام دفاعها الجوي[2].

ومجمل القول، أن سياسة روسيا في أفريقيا هي ذات بعد "جيواقتصادي" أكثر منه "جيوسياسي". فما يجذب روسيا إلى أفريقيا هو نفسه ما يجذب باقي الدول إليها سواء الدول الغربية أو الصين أو تركيا أو الهند أو البرازيل، وإن كانت روسيا تعاني من تأخر على المستوى التكنولوجي مقارنة بتلك الدول[3]. الأمر الذي جعل حضور روسيا في أفريقيا يبنى على ثلاثة أسس؛ أولها، الأفارقة الممنوحون الذين درسوا في الجامعات الروسية والذين حافظوا على علاقات شخصية داخل روسيا. ثانيها، المفاوضات الأفريقية الروسية حول مسألة الديون، والتي مكنت الشركات الروسية من الولوج إلى الاقتصاديات الأفريقية. وثالثها، تجارة السلاح والتكنولوجية العسكرية[4].

خلاصة: مازالت اهتمامات السياسة الخارجية الروسية تركز على المناطق القريبة منها والتي تشكل خاصرتها وحدائقها الخلفية، وهي: الدول التي كانت ضمن الاتحاد السوفياتي، وآسيا والشرق الأوسط. إلا أن هذا الاهتمام لا يغيب باقي المناطق الإقليمية من منظورها الاستراتيجي، ومن هذا المنطلق جعلت روسيا العودة إلى القارة الأفريقية، منذ بداية العشرية الأولى من القرن 21، في صلب اهتمام سياستها الخارجية، وإن كان اهتمام لا يرقى إلى مصاف أولوياتها.

وبالنظر لملامح السياسة الخارجية الروسية الجديدة في أفريقيا، يتبين بوضوح أن هذه العودة تحكمها معطيات عدة أقلها أهمية هو المعطى الإيديولوجي، وأهمها هما المعطيين الاقتصادي والعسكري المتجليان في تكثيف المبادلات التجارية وفي زيادة صفقات التسليح والتعاون الأمني في مكافحة الإرهاب. أما المعطى السياسي فهو حاضر لكن ليس بتلك الأهمية المؤثرة على جيوسياسية روسيا في المنطقة، فروسيا اختارت تبني سياسة الحياد في النزاعات الأفريقية

1 Alexandra Arkhangelskaya, Op.cit, p64.

2 Muriel Pomponne, Op.cit.

3 Sebastian Santander, Op.cit, p126.

4 Sebastian Santander, Ibid, p126.



والمؤشر الدال على هذا التوجه هو إعفاء ميخائيل ماركيلوف من مهامه كمندوب لروسيا في أفريقيا في شتنبر 2014، وتعويضه بميخائيل بوكدانوف كمندوب لروسيا في الشرق الأوسط وأفريقيا.

وجدير بالذكر هنا أن المعطى المعرفي كان حاضرا أيضا، حيث استفادت الإدارة الروسية من الحقل المعرفي المتعلق بدراسات المناطق، فالرئيس بوتين كان يعتمد على البروفيسور المستعرب ألكسي ميخايلوفيتش فاسيلييف Alexeï Mikhaïlovitch Vassiliev كمبعوث خاص في العلاقات مع زعماء الدول الأفريقية، والذي كان يشغل منذ عدة سنوات منصب مدير معهد أفريقيا التابع لأكاديمية العلوم الروسية. وهو المعطى الذ يبين بالملموس أن بناء السياسة الخارجية الروسية تجاه أفريقيا هي موضع العلم والدراسة، وإن كان هذا المعطى ارتبط بقمة الثمانية "G8" التي انعقدت في مدينة جينس الإيطالية سنة 2001، حينما دعم بوتين "مشروع جينس لأفريقيا"، الذي يفرض على دول أعضاء المجموعة تسمية ممثلين عنها لأفريقيا[1].

لائحة المراجع

1. **أيمن طلال يوسف، "روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية 2000- 2008"، مجلة المستقبل العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 358، دجنبر 2008).**
2. **الدكتور ناصر زيدان: دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2014).**
3. **عبد العزيز مهدي الرواي: "توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات دولية (بغداد: مركز الدراسات الدولية، العدد 35، سنة 2008).**
4. **عز الدين عبد الله أبو سمهدانة: الإستراتيجية الروسية تجاه الشرق الأوسط: 2000- 2008،(دراسة الحالة الفلسطينية) (رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم م الإدارية، جامعة الأزهر غزة، السنة الجامعية 2012/2011م).**

5. Alexandra Arkhangelskaya, « le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne ? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique » Afrique Contemporaine, N°248, 2013. Alexandra Arkhangelskaya, « le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne ? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique » Afrique Contemporaine, N°248, 2013.

6. Alexandra Arkhangelskaya, « le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne ? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique» Afrique Co

7. ntemporaine, N°248, 2013.

8. Alexandra Arkhangelskaya, «le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne ? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique » Afrique Contemporaine, N°248, 2013.

1 Alexandra Arkhangelskaya, Op.cit, p64



9. Alexandra Arkhangelskaya, «le retour de Moscou en Afrique sub-saharienne? Entre héritage soviétique, multilatéralisme et activisme politique», Afrique Contemporaine, N°248, 2013.

10. Gilles Traude, « La Russie en Afrique : le grand retour? », Géostratégiques, n° 25 novembre 2009.

11. Gilles Traude, « La Russie en Afrique : le grand retour?», Géostratégiques, n° 25 novembre 2009.

12. Guy Pandji: "Russia's Return to Africa - The Scholarship Dimension", NORRAGNEWS, SPECIAL ISSUE: «THE GEOPOLITICS OF OVERSEAS SCHOLARSHIPS & AWARDS OLD AND NEW PROVIDERS, EAST & WEST, NORTH & SOUTH», NUMBER 45 April 2011.

13. M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, « La politique russe en Afrique :désengagement ou coopération ?, Revue d'études comparatives Est-Ouest, Volume 27, 1996, N°3.

14. M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine, « La politique russe en Afrique: désengagement ou coopération? », Revue d'études comparatives Est-Ouest, Volume 27, 1996, N°3.

15. M. Birgerson Susanne, V. Kozhemiakin Alexander, Kanet Roger E. Tchimichkian Madeleine,« La politique russe en Afrique: désengagement ou coopération ? », Revue d'études comparatives Est-Ouest, Volume 27, 1996, N°3.

16. Sebastian Santander: L'Afrique, nouveau terrain de jeu des émergents (Editions Karthala, 2014).